مدارس كويه في العصر العثماني

عماد عبد السلام رؤوف[1]

[1] قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين - اربيل، اقليم كوردستان، العراق

المستخلص

تنقلت السلطة على كوي منذ اواخر عهد انقضاء الدولة الجلائرية بين قوى اقليمية وزعامات محلية عدة، فضمت اولا، مع مناطق واسعة من اقليم شهرزور، الى امارة اردلان، وحينما مد العثمانيون سيادتهم، في منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، لتشمل كردستان كلها، أصبحت كوي واحدة من البلدات الهامة في ولاية شهرزور، وما أن دب الاضطراب في إدارة هذه الولاية، حتى تنازعت الامارات المحلية السيطرة عليها، وهي المتمثلة بامارتي سوران، بابان، فصارت هدفا مشتركا يتناوب على حكمها زعماء من الاسرتين، وحينما أسقط العثمانيون كل من الامارتين في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، عدت كوي مركزاً للواء تابع لولاية شهرزور. أدت ظروف اجتماعية وبيئية مختلفة، إلى أن تحتل كوي مركزاً دينياً وعلمياً مشهوداً، إذ نزلتها أسر علمية كثيرة. تميزت كوي، بنشاط ثقافي ملحوظ، كان قوامه حركة التأليف والشرح والتعليق والنسخ التي قام بها علماء نابهون من أهلها، وكثير من تلك الكتب، وهي مخطوطة، وجد طريقه الى خزائن الكتب في عصره، ومنها ما كان يمثل كتبا منهجية اعتمدها علماء المدينة في تدريس مواد علمية مختلفة، في العلوم الشرعية، واللغوية، وعلوم اخرى من المنطق والفلسفة والكيمياء والفلك وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: المدارس الدينية، كويه، العصر العثماني، المخطوطات، علماء الدين

Abstract:

Since the end of the Jalaeries period, Koya transferred between several regional powers and local leaders. First, with large areas of the province of Shahrzur, it was annexed to the Ardalan principality. When the Ottomans extended their sovereignty in the middle of the tenth century, Koya became one of the most important towns in the Wilayet of Shahrzur, and after the turbulence of the administration of the state, the local Emiratis fought to control it, especially Suran and Baban. It became a common goal of the rulers of both families.

Various social and environmental conditions have led Koya to occupy a well-known religious and scientific center, with many scientific families. Many books and manuscripts found their way into the bookcases of his time, including what represented systematic books adopted by city scientists in the teaching of materials Science, linguistics, and other sciences of logic, philosophy, chemistry, astronomy, and so on

Keywords: Koya, Religious Schools, The Ottoman Era, Manuscripts, Religious Scholars

Original Article | http://dx.doi.org/10.14500/krc2019.Gen331

1. المقدمة

الأنحاء الشرقية من كردستان، بدلالة ان مناطق من كردستان اليوم وصفت عهد ذاك بأنها تقع في اذربيجان، مثل دُوين وخِفتيان.

وقد تنقلت السلطة على كوي منذ اواخر عهد انقضاء الدولة الجلائرية بين قوى اقليمية وزعامات محلية عدة، فضمت اولا، مع مناطق واسعة من اقليم شهرزور، الى امارة اردلان، وحينما مد العثمانيون سيادتهم، في منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، لتشمل كردستان كلها، أصبحت كوي واحدة من البلدات الهامة في ولاية شهرزور، وما أن دب الاضطراب في إدارة هذه الولاية، حتى تنازعت الامارات المحلية السيطرة عليها، وهي المتمثلة بامارتي سوران، بابان، فصارت هدفا مشتركاً يتناوب على حكمها زعماء من الاسرتين، وحينما أسقط العثمانيون كل من الامارتين في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، عدت كوي مركزاً للواء تابع لولاية شهرزور، وبموجب قانون الولايات سنة 1284هـ/1867م ضمت هذه الولاية الى ولاية بغداد وأصبحت مركزاً لقضاء باسمها من أقضية لواء (سنجق) شهرزور، التي ضمت بدورها الى إدارة ولاة بغداد.

2. النشاط الثقافي

أدت ظروف اجتماعية وبيئية مختلفة، إلى أن تحتل كوي مركزاً دينياً وعلمياً مشهوداً[1]، إذ نزلتها أسر علمية كثيرة، منها بيت الخطيب، وبيت الإمام، وبيت الدايه خه جي، وبيت الخادم، وبيت الطيب، وبيت النازنيني، وبيت الجلي، وشهدت الحياة العلمية فيها إزدهاراً ملحوظاً منذ القرن الحادي عشر للهجرة (17م)، فما بعده، فقد وصلنا من تلك الحقبة عدد كبير من الكتب والرسائل، التي نسخها علماء أو طلبة علم وفدو عبد الله بن شيخ إسماعيل الحسيني البرزنجي القادري سنة 1253 هـ/ 1837م[2]، و(جميع الجوامع) بخط خضر المَخفي الحزين سنة 1300 هـ/ 1882م، و(الاظهار) للبركوي، بخط محمد كستاني سنة 1300هـ، ومجموع من تصنيف ملا محمد سنة 1301 هـ/ 1883م، و(شرح المغني) بخط محمد شريف المريواني سنة 1305 هـ/ 1887م، و(فرائض المنهج) بخط ابراهيم بن صوفي محمود سنة 1320 هـ/ 1902م، وغير ذلك (قەرەداغی، 5 \17).

وتوافد عليها، من مناطق بعيدة، شعراء وعلماء كثيرون، ينهلون منها العلم ويلتقون بشعرائها وعلمائها المشهورين، أمثال الشاعر محمد المتخلص بناري (ت 1199 هـ/ 1784م) وكيفي (ت 1310 هـ/ 1883م)، والشيخ رضا الطالباني (ت 1328 هـ/ 1910م) ونالي (ت 1273 هـ/ 1856م) وسالم (ت 1283 هـ/ 1866م) و حاجي قادر بن ملا محمد الكوبي (ت 1232 – 1312 هـ/ 1817 – 1895م) وأكثرهم كان شاعراً مجدداً، وغيرهم. وتولي التدريس فيها علماء بارزون، منهم عبد الرحمن الجلي (ت 1217 هـ/ 1806م) الذي وصفه بعض معاصريه بأنه " ممن تضرب أكباد الإبل للثم يديد، ويعول في المنقول والمعقول عليه" (ابن سند، 1312:35.)، والحاج عبد الله بن عبد الرحمن (ت 1246 هـ/ 1820م) وغيرهم ممن تقدمت الاشارة اليهم في هذا البحث.

3. انشاء المدارس وخزائن الكتب:

1. مدرسة عبد الرحمن باشا البابانی

عُنيت الأسرة البابانية، لا سيما بعد إنشائها مدينة السليمانية في سنة 1199هـ/1784م، برعاية الحياة الثقافية وتشجيعها العلم والعلماء (قەرەداغی، 4 \48).، وقد امتد تأثير هذا الاشعاع الثقافي الى مدينة كوي، فكان أن أنشأ فيها عبدالرحمن البابانی (حكم على نحو متقطع بين 1204 و 1228 هـ/ 1789 – 1813م) مدرسة وخزانة كتب حافلة، ". وقد سماها بعض من عاصرها (الجامعة العلمية القديمة في كويسنجق). واستقدم ليتولى التدريس فيها العلامة عبد الرحمن بن عبد الله الجلي (1140-1217) فتولى هذا التدريس فيها حتى نسبت اليه أحياناً. وقد جاء في وقفية لهذا الامير المستنير لكتاب (صحيح البخاري) ما نصه " فها أنا وقفت ذلك الكتاب وقفاً صحيحاً شرعياً على العالم الرباني والعارف الصمداني الملا عبد الرحمن الجلي، ثم على اولاده الذكور، الأفقه فالافقه، ما تناسلوا بطناً بعد بطن، ثم على أولاد أخوته الأعلم، ما توالدوا، ثم على عشيرته الأعلمين، ثم على العلماء الذين كانوا من ناحية كردستان"(حاجي، 1985: 405)

ولم يقتصر جهد الامراء البابانيين على إنشاء المدارس والوقف عليها، وإنما تجاوزه إلى تشجيع العلماء على التأليف والنسخ بصفة مباشرة، جاء في آخر مخطوطة (تحفة المحتاج في شرح المنهاج) تعليقه لناسخها إلياس، تاريخها يوم الجمعة من شهر ربيع الأول سنة 1242 هـ/ 1827م، أنه نسخة "بإشارة من هو مطاع أمره وحكمه ومروج الشريعة القويمة، والطريقة المستقيمة، أعني به أميرنا وكيل بابان وكوي وحرير سليمان بيك.. ابن المرحوم المغفور المبرور عبد الرحمن باشا"[3] .

ومما وصلنا من آثار هذه المدرسة (حاشية العبادي على شرح هداية الحكمة)، بخط خالد بن حسين سنة 1219 هـ/ 1795م "في بلدة كوه (كوي) في مدرسة مولانا عبد الرحمن" (رؤوف، ١٩٨٠: 3 \146)، وكتاب (التعليقات الحكيمية على حاشية شرح المطول) في البلاغة، لحبيب الله مرزا جان (ت 994 هـ/ 1585م) فقد ذكر ناسخه إبراهيم أنه نسخه في قصبة كوي في مدرسة مولانا عبد الرحمن الجلي سنة 1215 هـ/ 1800م(محمد، 1982:ج1\437)، و(حاشية على اللاري) بخط فيض الله بن يوسف بن حاجي إبراهيم بن حاجي آغا بن مير عمر دزهيي سنة 1217هـ/ 1802م (قەرەداغی: 5\14)، و(حاشية محمد حسين الحريري على عصام الدين) بخط حسن بن سليمان سنة 1268 هـ/ 1851م، و(سعد الدين) بخط رسول بن عزيز بن محمد بن ملا غزالي، وكانت هذه المدرسة قد أنشأها عبد الرحمن البابانی، ونقل إليها العالم المذكور و"أنعم عليه وزاد في تبجيله واحترامه (المدرس، 1983: 139 ،268). وقد سماها بعض من عاصرها (الجامعة العلمية القديمة في كويسنجق)، وممن تولى التدريس فيها العلامة محمد أفندي بن عبد الله الجلي (1298 – 1361هـ/ 1880 – 1943م) رئيس العلماء، "الذي اشتهر صيته في جميع الأرجاء"(البريفكاني، 1997: 80)، وكانت له مؤلفات كثيرة مهمة منها ما يتسم بروح عصرية واضحة، فضلاً عن كونه شاعراً مجدداً (زكي، 2005: ج2 \358).

2. مدرسة بايز اغا

كۆنفرانسی نێودەوڵەتی کۆیە لە ڕەوتی شارستانیەتدا © ٢٠١٩
١-٣ نیسانی ٢٠١٩

3. ومن مدارس كوي سنجق أيضاً مدرسة مسجد بايز آغا، الذي ينسب لمؤسسه الحاج بكر آغا بن محمد آغا حويز من عشيرة دزهي سنة 1260 هـ/ 1844م(العزاوي، 2001 : 110)، وقد درس فيها العلامة الملا بهاء الدين بن الشيخ ملا طيب (ت 1357هـ/ 1938م)، وكان هذا عالماً كبيراً، درس على يديه، في مدرسته، عدد وافر من العلماء، واستمر مدرساً نحو خمسين سنة، وتولى التدريس بعد ابنه محمد (فرهادي، أربيل 2001: 253 ، 294.). وفي هذه المدرسة نسخ حسن بن علي لأستاذه ملا صالح، كتاباً بالكردية في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، من تأليف ملا عبد الله الجلي الكوبي، وذلك سنة 1245هـ/ 1829م[4]، ورسالة (مير أبي الفتح على رسالة الآداب) بخط مصطفى بن أحمد، نسخة من مدرسة بايز آغا، في خدمة ملا عبد الرحمن بن عباس (قەرەداغی: 5\16.). وكان عبد الله الجلي المذكور يتولى التدريس في كوي، ومن أبرز تلامذته فيها الملا حسين شيخ سعدي المفسر (1331- 1403 هـ/ 1883- 1983)، وكان هذا مؤلفاً نابهاً له مؤلفات مهمة في التفسير وعلوم القرآن والفقه والادب (البرزنجي، 2004: 85)

4. مدرسة محمود اغا

ومن مدارس هذه البلدة، التي دلت عليها الكتب التي نسخت فيها، مدرسة محمود آغا، وقد نسخ فيها محمود بن شيخ سليمان ايراني (هيراني) سنة 1277 هـ/ 1860م رُبعي الطهارة والبيع من كتاب (بهجت الحاوي) لعمر بن الوردي[5]، ومن مدرسيها الشيخ عبد الله سبط العبدلاني.

5. مدرسة المنارة

نسخ فيها مصطفى لأجل استاذه محمد أمين بن ملا رسول مدرس بازيان (حاشية محيي الدين) سنة 1226هـ/ 1811م. ومن مدرسيها المتأخرين الملا علي الباداوي، والملا محمد الكوبي (ت 1387هـ/ 1967م) (فرهادي،2001: 293).

6. مدرسة مولانا مصطفى

أشير الى هذه المدرسة من خلال تعليقة وردت على (الرسالة الحرفية) بخط ناسخها أحمد بن عبد الله بن مصطفى بن رجب سنة 1139هـ/ 1726م (قەرەداغی،3\85)

7. مدرسة تكية الشيخ جامي البرزنجي

من مدرسيها المتأخرين الملا صادق أفندي، وقد تولى التدريس فيها مؤسسها " فكان عنده جم غفير من طلاب العلوم الدينية"، وأعقبه في مهمته ابنه الملا ظاهر (فرهادي،2001: 529). وفيها نسخ محمود السليماني المعروف بالايراني (الهيراني) كتاب (الفرائض) سنة 1277هـ/ 1866م.

8. مدرسة مسجد عتك

ومن مدارسها ايضاً مسجد عتك أو حتك، ومن أشهر مدرسيها في النصف الاول من القرن الرابع عشر للهجرة الملا محمد بن ابراهيم العبدلاني "وكان شاعراً أديباً" فضلاً عن علمه(فرهادي،2001: 372).

9. مدرسة الجامع الكبير

وصلتنا من الآثار العلمية التي نسخت في هذه المدرسة، نسخة من كتاب(إيساغجي) لأثير الدين الابهري في المنطق، سنة 1300هـ/ 1882م، ورسالة في التجويد لخالد الأزهري، بخط محمد بن صالح في السنة نفسها (قەرەداغی: 5 \9)، و(الفناري) بخط عبد العزيز بن قادر بن عزيز دلال، كتبها سنة 1306هـ/ 1888م، و(تصريف ملا علي) بخط عبد الحميد بن صالح بن معروف بن عثمان بن بلال أغا، كتبها في خدمة ملا صادق الكوبي سنة 1320هـ/ 1902م (قەرەداغی: 2 \27).

ومنها ايضاً (الكفاية) للعلامة عبد الله البيتوشي، جاء فيه أنه كتبه (للصاحب الاعظم والمطاع المفخم.. سمي خليفة سيد العالم، المشتهر الملقب بجويزيزاده بين العرب والعجم، الساكن المشرف بلدة كوي التي بها نصرة جيوش العلم كالعلم) (قەرەداغی: 4 \277). وحاشية أحمد بن حيدر، كتبها عبد الله النستاني المعروف ببابكر، سنة 1334هـ/ 1915م، وحاشية على رسالة في (جهة الوحدة) بخط ابراهيم بن محمد الگومەشيني[6].

10. مدرسة مسجد بلك

ومن المدارس الملحقة بالمساجد مسجد بلك، وقد تولى التدريس فيها الملا توفيق الإمام (ت 1345هـ/ 1926م) الذي كان يدرس الكيمياء، فضلاً عن العلوم الاخر (فرهادي، 2001:297) .ومما وصلنا من آثار هذا المسجد العلمية (شرح بيان البيان) كتبه عبد الرحمن "في مدينة كويسنجق في مسجد بلك لدى تحصيله العلم عند الملا توفيق"[7]، و(شرح تصريف الملا علي) في مسجد بلك، في خدمة الاستاذ ملا محمد توفيق سنة 1330هـ/ 1912م (قەرەداغی: 6 \23). وثمة نسخة من كتاب بعنوان (بشر الوضع) للشيخ عبد الله المحمودي، المعروف بالشيخ موي، نسخها "أحقر الطلاب، وخادم الطلاب، عزيز تياري.. في سنة 1342، في خدجمة.. مولانا المحقق ملا توفيق في شهر كويسنجق في مسجد بلك"(قەرەداغی: 2 \141). ومنها (العوامل للجرجاني)، بخط محمد بن حاجي ملا شفيعي سنة 1345 هـ/ 1925م[8].

11. مدرسة مسجد فقيه احمد دايه خجي

كانت هذه المدرسة مرفقاعلمياًً مما بما وصلتنا منها من مخطوطات متنوعة، منها كتاب (الجامي) بخط أحمد بن عمر بن أحمد بن خضر الشيخ محمودي سنة 1156هـ/ 1743م، ومخطوطات بخط عبد القادر بن محمد بن عبد بن احمد الدايه خجي، منها (الجامي) سنة 1189هـ/ 1775م و(شرح العقائد) سنة 1197 هـ/ 1782م، و(المحرر) في الفقه سنة 1215هـ/ 1800م، ومخطوطات عديدة أخرى بخط ابي بكر بن محمد بن عبد الله بن فقي احمد الدايه خجي ، منها (شرح العقائد) 1195هـ/ 1781م، و(مجموعة رسائل) بخطه أيضاً سنة 1217هـ/ 1802م، و(الاستعارة بخطه سنة 1224 هـ/ 1809م، و(ألوغ بك) في الهيئة سنة 1215هـ/ 1800م، وشرح عبد الحكيم علي عبد الغفور علي الجامي سنة 1190هـ/ 1776م، و(الرسالة الحسابية) و(ميزان الشعراني) و(طب الرحمة) وغير ذلك. ونسخ قر يب له، هو مصطفى بن محمد بن عبد الله بن فقي أحمد دايه خجي كتاب (عبد الحكيم) في مدرسة جده ملا احمد الدايخجي سنة 1217هـ (قەرەداغی: 4 \214- 215). وأشار محمد صالح بن مصطفى في آخر (رسالة الحساب) الى أنه نسخها " في بلدة كوي في مسجد حاج الحرمين حاجي ملا أحمد 1295". وقد دلت هذه الوفرة في الكتب التي نسخها طلبة علم لأساتيذهم من العلماء على حيوية النشاط الثقافي في البلدة خلال قرون عدة.

ومن أعلام كوي أيضا في تضاعيف القرن الثالث عشر (19 ميلادي) الحاج ملا عبدالله بن أسعد (ت 1326 هـ/ 1908م)، ومن آثاره نسخة بخطه من شرح العقائد النسفية (محمد، ١٩٨٢: ٤، ٧١) . ومنهم ايضاً العلامة أحمد بن بكر الروزبه ياني الفرقاني

(ت 1353- 1934م) وقد نسخ بخطه، وهو مقيم في بعض مدارس البلدة كتباً عديدة، منها رسالة في معرفة الاوقات، ختمها بقوله "تم تسويده مع سقامة النسخة، في مدرسة فخر العلماء الحاج ملا عبد الله الجلي في 14 ذي الحجة 1318"، و(الربع المجيب) المترجم عن التركية للملا ابي بكر بن عمر الاربلي المعروف بكوجك ملا (1290- 1365هـ/ 1873- 1946م) في صفر سنة 1319 في كوي سنجق، وكتاب (تشريح الافلاك) للعاملي، وقد جاء في آخره "تمت الرسالة الموصوفة بالدرة اليتيمة المس"، وكتاب (شرح التشريح) لحسن افندي البشدري.

4. المصادر:

4,1 باللغة العربية

ابن العبري، غريغوريوس (2015)، تاريخ الزمان، ترجمة اسحق أرملة، بيروت.

ابن سند، عثمان (1312)، أصفي الموارد من سلسال مولانا خالد، القاهرة .

البريفكاني، محمد سعيد (1997)، فضلاء بهدينان، دهوك

حاجي، مغديد (1985)، صفحات من حياة الملا محمد الكوبي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 12، ق1، بغداد.

رؤوف، عماد عبد السلام رؤوف (1980)، الاثار الخطية في المكتبة الفادرية، 5 أجزاء، بغداد.

زكي، محمد أمين (2005)، مشاهير الكرد وكردستان، ط2، السليمانية.

العزاوي، عباس (2001)، أربيل في مختلف العصور، تحقيق محمد علي قەرداغي، بغداد

فرهادي، عبدالله (2001)، الإكليل في محاسن أربيل، أربيل

محمد، محمود أحمد (1982)، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في السليمانية، بغداد.

المدرس، عبدالكريم (1983)، علماؤنا في خدمة العلم والدين، بغداد.

4,2 باللغة الكوردية

البرزنجي، عمر شيخ لطيف (2004)، كورتەيەك لە ژيانناممەی زاناكان، هەولێر.

قەرەداغی، محمد علي، بووژاندنەوەی مێژووی زانايانی كورد لە رێگەی دستخەتەكانيانەوە.

4,3 المكتابات الشخصية

- مكتبة رشاد المفتي في اربيل
- مكتبة خالص يونس في اربيل
- مكتبات اخرى في بغداد

[1] بلغ عدد بيوت كوي سنجق، بحسب المنشي البغدادي (60 :1949) سنة 1235 هـ/ 1820م، أربعة آلاف بيت (20000 نسمة تقريبا)، وقبائلها وعشائرها لا تعد.

[2] في المركز الوطني للمخطوطات.(قەرەداغی، 4 \37.)

[3] اطلعنا عليها في مكتبة المرحوم رشاد المفتي في أربيل

[4] مخطوطة في مكتبة السيد خالص يونس أربيل أطلعني عليها مشكوراً.

[5] في المركز الوطني للمخطوطات. (قەرەداغی: 5 \18)

[6] هذه المخطوطات في المركز الوطني للمخطوطات. (قەرداغي: 2 \58-57)

[7] في المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين.

[8] مخطوطة في مكتبة السيد خالص يونس في أربيل.